

## تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم { لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم } أي من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل قاله الضحاك وغيره كقوله تعالى : { أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين \* أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدق عنها { وكقوله تعالى : { وإن كانوا ليقولون \* لو أن عندنا ذكرا من الأولين \* لكنا عباد الله المخلصين \* فكفروا به فسوف يعلمون } قال الله تعالى : { فلما جاءهم نذير { وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين { ما زادهم إلا نفورا { أي ما ازدادوا إلا كفرا إلى كفرهم ثم بين ذلك بقوله : { استكبارا في الأرض { أي : استكبروا عن اتباع آيات الله { ومكر السيئ { أي ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله { ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله { أي وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم .

قال ابن أبي حاتم : ذكر علي بن الحسين حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي زكريا الكوفي عن رجل حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ إياك ومكر السيئ فإنه لا يحق المكر السيئ إلا بأهله ولهم من الله طالب ] وقال محمد بن كعب القرظي : ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به : من مكر أو بغى أو نكث وتصديقها في كتاب الله تعالى : { ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله { { إنما بغيكم على أنفسكم } { فمن نكث فإنما ينكث على نفسه { وقوله D : { فهل ينظرون إلا سنة الأولين { يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسوله ومخالفتهم أمره { ولن تجد لسنة الله تبديلا { أي لا تغير ولا تبدل بل هي جارية كذلك في كل مكذب { ولن تجد لسنة الله تحويلا { أي { وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له { ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد والله أعلم